موريس عوّاد من ساحة المشايخ إلى واحة الشعراء!

ربيعة أبي فاضل 16 كانون الثاني 2019

جاء جدَّه نجم من حصرون، في القرن التّاسع عشر، وهو من مشايخ البلدة، واستقرّ في قرية بصاليم، حيث بنى حارة بهيَة، وأحاطها بالصنوبر، والشجر المُثمر، واستمرَّ شيخ صلح له مهابة وسلطة، يَسجن الخارجين على القانون، في قبو حارته، وهي من حجر مقصَّب، أصيل، ساحر. أمَّا جدّه بولس الكاهن فقد رسمه المطران بولس عوّاد في قرنة شهوان، وهو الأسقف الذي تنحّى عام 1925 . يبقى أنّ أباه شاعر منبر، وواحد من طليعيي الزجل.

نصح له سعيد عقل، عام 1963 ، بتسمية باكورة شعره "أغنار"، وبعد سنتين، وخلال بحثه عن مكانة شعريَّة، خارج دائرة خليل روكز، وميشال طراد، وسعيد عقل، نشرت "الراصد" حوارًا له مع جهاد أبو جوده، بعنوان: "سأُحطِّم صنمي سعيد عقل"، وظلّ يتّهم رفيق روحانا وجورج شكّور، وغيرهما، بأنّ الواحد منهما بقي صدى لسعيد، وليس صوتًا متفرّدًا. وفي جنّاز الشّاعر أنيس روحانا، نصح لابنه رفيق بتسمية التلّة، قرب منزله، "ملكوت الشعر!"

آخر عباراته لي: "ما بَدّي إتكرّم ببلد كلُّو زبالي، ونازحين، ونهب!". لكنّه قَبِلَ بإقامة نَدوتين عنه في الجديدة، والبوشريّة – الدورة، في ظلّ صدور كتابين عنه للدكتورين ربيعة أبي فاضل وجورج زكي الحاج. في الندوة الثّانية، وقبل وفاته بأسبوع، سُئلَ عن تأثير سعيد عقل في شخصه، وشعره، فاعترف بأنّ سعيد أطلقه لكنّه لم يستطع أن يُبقيه تحت جنحه، لكونه يبحث لنفسه عن فضاء مختلف، ومميز. وعن هُويّة شعريّة خاصّة به!

أبرز الأسماء التي كانت تتكرّر على لسانه: عبدالله غانم، صاحب "العندليب"، أوائل الثّلاثينات، وميشال طراد، صاحب "جلنار"، أوائل الخمسينات، وخليل روكز، وشحرور الوادي، وإميل مبارك، ويونس الابن، وإيليّا أبو شديد، وخليل حاوي، وكريم الكركي. هذا الشعر المحكيّ، أو الشعر اللّبناني، كما سمَّاه، كان مقدَّسًا، وكثيرًا ما فرضَ الصَّمت على مَن يُصغي إلى شعره، مكرّرًا: "بَدّي حدا يِسْمَعني بِعينَيه"، والمقصود أن يسود الصمت، كما في المعابد!

عندما كتب "ا لموريسيادا"، أرسل نسخة إلى سعيد عقل، مع زينه خوري، جارته في عين الرمّانة. اتّصل عقل، بعد يومين، قالت له نجاة، رفيقة عمر موريس: "أهلا بعظيم لبنان!" قال لها: "وَيْنو ها العظيم اللّي كتب تحفة "الموريسيادا"، بَس يجي بَوّسيلنا صابيعو التّلاتي اللّي كَتبوا ها الملحمة!". وكان خليل حاوي دعاه إلى سهرة شعر في الجامعة الأميركيّة، عام 1969، فقرأ من "أغنار" و"قنديل السفر"، الذي لم يكن قد طُبع. فقال حاوي: "بقصايد قنديل السفر تخطَّينا ميشال طراد!". لم يتخطّ أحَدٌ أحدًا، طيور محلّقة، يحلو لها الغناء، في الهواء الطلق!

لا لزوم لتكثيف الشهادات في موريس عوّاد شاعرًا من فحول الشعر المَحكي، في دنيا العرب، من دون أن نَنسى أنّ كثيرين، وفي مقدمهم باسيليوس بواردي، في كتابه "بين الصّحرا، والبحر"، حكموا بقسوة على الرجل، وعلى عقل ومي المرّ، نظرًا إلى رؤيتهم الحضاريّة، والوطنيّة، و ليس لكونهم شعراء، وفنّانين أصلاء. تحضر السياسة، دائمًا، لتكدّر وتعكّر، وَتتسلّط. على أنّ أركاديوس بلونكا البولندي، عبّر عن فرحه، وافتخاره، بشعر موريس، وقد رأيته في لبنان، ولمست قَدْره لصاحب "آخ"، و"حكي غير شكل"، و"التصويني" والغنائيّة التي لا تُكرّر، في هذا الزمان التكنولوجي المرّ!

يبقى أنّ قرية بصاليم، وموريس وُلدَ فوق ترابها، وتَرعرع في أحراجها، مُلزَمة نقل رفاته إلى أرضها، وتخصيص حديقة له، فهو أهمّ من شركة الكهرباء، ولولاه لما عرف الآخرون أنّها به غدت من الأمكنة الخالدة! أمّا النصب التَّذكاري فَليتعلّموا من جارتهم نابيه، وليتساءلوا : " لِمَ ترك موريس أرض آبائه، ورحل؟ مَن سبّب له الغضب والرحيل القسري؟"، غير مكتفين بالقول: "هو باع أرضه ورحل"!

موريس عوّاد، شاعر الرومنطيقيّة، والثورة، والحوار في أبعاده الإنسانيّة، والكونيّة، والميتافيزيقيّة... وهو صاحب أنطولوجيا الشعر المحكي اللبناني، وصاحب ترجمة العهد الجديد إلى لغة الحياة، كما أحبّ أن يقول، دائمًا، وهو صاحب المئة نشيد، من أجل الوطن، والجمال، والإنسان، وهو الشاعر الذي لم يهدأ، ولم يساوم، ولم يُحاب الوجوه، ولم يَبع لبنان بثلاثين، ولم يُؤْثر شيئًا على الشعر، والأرض، والتراث، والتقاليد، فاحتمل الوحدة، والزهد، وانسحب يحتمي بصمته، فلا مال، ولا جاه، ولا سلطة، ولا شيء يفصله عن مواقفه، ومبادئه، ورؤيته. وقد رحل وهو يفتخر بثلاثة: شعره، وترجمة الكتاب المقدّس، وكونه "مار بولس" اللغة اللبنانيّة، إذ أنتج ستين كتابًا ما خلا المخطوطات بالعشرات!

في الذكرى الأربعين للشاعر موريس عواد (2019/1/20)